

نماذج تدبير القرآن الكريم عند السلف الصالح

د. كمال محمد قالمي

أستاذ مساعد في جامعة الجوف

بالمملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد، فإن الله جلّ وعلا قد أنزل كتابه الكريم على عباده هدى ورحمة ونوراً وبشراً وذكرى للذاكرين، وحثهم على قراءته وتدبره، فقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]. وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤].

وأخبر سبحانه أنه إنما أنزله لتدبر آياته، فقال عز وجل: ﴿ كُنْتُ أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ مَبْرُكًا لِيَذَبَّروا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩].

وبيّن سبحانه وتعالى أن سبب عدم هداية من ضلّ عن الصراط المستقيم هو ترك تدبر القرآن والاستكبار عن سماعه، فقال تعالى: ﴿ فَذَكَرَتْ ءَايَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَانكَبْتُمْ عَنْهَا فَمَنْ كَفَرَ بِيَّ فَاولئك هم المومنون: ٦٦ - ٦٨ ﴾.

وبيّن سبحانه وتعالى عظمة القرآن وقوة أثره بأنه لو أنزل على جبل لخشع وتصدّع من خشية الله تعالى، فقال تعالى: ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ لِنَاسٍ لَّعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١].

يقول أبو عبد الله القرطبي رحمه الله -عند تفسيره لهذه الآية-: ((حشّ على تأمل مواعظ القرآن، وبيّن أنه لا عذر في ترك التدبر؛ فإنه لو خوطب بهذا القرآن الجبال لانقادت لمواعظه، ولرأيتها على صلابتها ووزانتها خاشعة متصدّعة))^(١).

وإنّ كتاباً هذا بعض شأنه لحري بكل مسلم أن يعظّمه حقّ تعظيمه، ويتلوه حقّ تلاوته بتدبر آياته والتفكير فيه والتعقل لمعانيه، قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ((لا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكير؛ فإنّه جامع لجميع منازل السائرين، وأحوال العاملين، ومقامات العارفين، وهو الذي يورث المحبّة والشوق والخوف والرجاء والانبابة والتوكّل والرضا والتفويض والشكر والصبر وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب وهلاكه . فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكير

(١) "الجامع لأحكام القرآن" (٣٨٨/٢٠).

حتى مرَّ بآيةٍ وهو محتاجٌ إليها في شفاء قلبه كرَّرها ولو مائة مرَّة، ولو ليلة؛ فقرأه آيةً بتفكّر وتفهمٍ خيرٌ من قراءةٍ ختمهٍ بغير تدبّرٍ وتفهمٍ، وأنفعٌ للقلب، وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن)) اهـ^(١).

ولما كان تدبر القرآن الكريم بهذه الأهمية فحري بأمة القرآن أن تبذل في سبيل تحقيقه كل غال ونفيس، فهو خير ما تصرف فيه الأوقات، وتنفق فيه الأموال، كل بحسب طاقته وقدرته.

ومن أجل ذلك قام به بعض الغيورين من هذه الأمة على عقد المؤتمر العالمي في (تدبر القرآن الكريم وأثره في حياة الأمة).

ورغبة مني في مشاركة إخواني المسلمين في هذا الفضل العظيم تقدمت إليهم ببحث متواضع بعنوان (نماذج تدبر القرآن الكريم عند السلف الصالح).

وكان الغرض من اختيار هذا المحور جملة أسباب تتلخص فيما يلي:

- ١- الوقوف على الكيفية العملية لتدبر القرآن من خلال صور مشرقة وحقائق واقعية عن سلفنا الصالح.
 - ٢- تذكير الناشئة والأجيال اللاحقة بما كان عليه أسلافهم من تعظيمهم كلام الله تعالى؛ لأنه سرّ عزّهم في الدنيا وفلاحهم في الآخرة.
 - ٣- الدعوة إلى رجوع المسلمين إلى القرآن الكريم رجوعاً كلياً كما كان عليه أسلافهم الكرام الذين دانت لهم جميع الأمم وكانت لهم القيادة والريادة في جميع مناحي الحياة، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.
 - ٤- إبراز النماذج المؤثرة التي تدفع للاقتداء وتحث على الاتساء.
 - ٥- التأسي بالصالحين فيه بعث للهمم والعزائم في النفوس، ودفع لليأس والقنوط عن القلوب.
- وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، مذيلاً بقائمة المصادر والمراجع.
- فأما المقدمة فتناولت باقتضاب الكلام عن أهمية الموضوع وبيان الغرض من الكتابة فيه.
- وأما المبحث الأول: من وسائل تدبر القرآن الكريم عند السلف الصالح.

ويتضمن مطالب التالية:

المطلب الأول: حث السلف على المداومة على تلاوة القرآن الكريم.

المطلب الثاني: حث السلف على التدبر وبيان معناه عندهم.

المطلب الثالث: حث السلف على قراءة القرآن على مكث دون استعجال.

(١) "مفتاح دار السعادة" (١/٥٣٥).

المطلب الرابع: حث السلف على ترداد الآية الواحدة في الصلاة وفي خارجها.

وأما المبحث الثاني: من آثار تدبر القرآن الكريم عند السلف الصالح.

ويتضمّن مطالب التالية:

المطلب الأول: حث السلف على اتباع القرآن والعمل به.

المطلب الثاني: سرعة استجابة السلف للقرآن الكريم.

المطلب الثالث: بكاء السلف وحشوعهم عند تلاوة القرآن أو سماعه.

المطلب الرابع: تذكير السلف بآيات القرآن عند المناسبة.

المطلب الخامس: إشادة السلف وتنويههم ببعض الآيات من القرآن الكريم.

وأما الخاتمة فتتضمن أهم النتائج المستخلصة من البحث.

وأما عملي في البحث فيتلخص في الأمور التالية:

١- عزو الآيات إلى المصحف الشريف بذكر اسم السورة ورقم الآية عقب الآية في المتن.

٢- عزو الأحاديث والآثار إلى الكتب المعتمدة المسندة.

٣- الاقتصار في عزو الحديث إلى الصحيحين إن كان فيهما أو في أحدهما.

٤- ذكر درجة الأحاديث - إذا كانت في غير الصحيحين - بالاعتماد على أحكام علماء الشأن - إن وجدت -.

٥- الاقتصار في الآثار على الصحيح والحسن وما كان مقبولاً سنداً ولا سيما آثار الصحابة.

فإن كان هناك شيء من الضعف فهو يسير غير شديد، وهو جارٍ على قاعدة جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، والخطب في الآثار - بلا شك - أسهل.

٦- إيراد الأحاديث المرفوعة تحت كل مطلب - إن وجد - فهو عليه الصلاة والسلام خير أسوة لأُمَّته، مشفوعة بآثار الصحابة، فأثار التابعين فمن بعدهم.

٧- التعريف ببعض الأسماء المهملة، ولم أترجم لكل الأعلام لما في ذلك من تطويل وتثقل للحواشي.

٨- شرح الكلمات الغريبة.

والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

المبحث الأول

من وسائل تدبر القرآن الكريم عند السلف الصالح

المطلب الأول: حث السلف على المداومة على تلاوة القرآن الكريم.

إن الله جلّ وعلا ربّ تلاوة كلامه الأجر الكثير والثواب الغزير الحرف بعشر حسنات، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَا مٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ ». رواه الترمذي وقال: «حديث حسن صحيح غريب».

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعريّ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرَجَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحُنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ».

وفي صحيح مسلم^(١) عن عقبه بن عامر ﷺ قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ فَقَالَ «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَعْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بَطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ».

فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ نُحِبُّ ذَلِكَ. قَالَ: «أَفَلَا يَعْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمَ أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ وَثَلَاثَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ».

وأما آثار السلف في قراءتهم القرآن نظراً وغيباً وحفظهم على حزمهم ووردهم في الصلاة وفي غير الصلاة أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر، ولا بأس بذكر طرف منها:

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «أَدِيمُوا النَّظَرَ فِي الْمُصْحَفِ»^(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «إِنِّي لَأَقْرَأُ حِزْبِي، أَوْ عَامَّةَ حِزْبِي وَأَنَا مُضْطَجِعَةٌ عَلَى فِرَاشِي»^(٣).

وعن خيشمة قال: دخلت على عبد الله بن عمرو، وإنسان قد أخذ عليه المصحف، وهو يقرأ، فقلت: ما هذا؟ قال: «أقرأ حزبي الذي أقوم به الليل»^(٤).

(١) برقم (٨٠٣).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في "المصنف" رقم (٨٦٤٦)، وأبو عبيد في "فضائل القرآن" (ص ١٠٤)، والفريابي في "فضائل القرآن" رقم (١٤٩).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في "المصنف" رقم (٨٦٥٩)، والفريابي في "فضائل القرآن" رقم (١٥٤)، والمستغفري في "فضائل القرآن" رقم (٥٢٤) بإسناد صحيح. وخيشمة هو ابن عبد الرحمن بن أبي سبرة الكوفي، ثقة وكان يرسل. تقريب التهذيب ترجمة رقم (١٧٧٣).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في "المصنف" رقم (٨٦٤٧)، وأبو عبيد في "فضائل القرآن" (ص ١٠٥)، والفريابي في "فضائل القرآن" رقم (١٥١)، والمستغفري في "فضائل القرآن" رقم (٥٢٠) وإسناده صحيح.

وعن أم موسى: «أنّ الحسن بن علي كان يقرأ ورده من أول الليل، وأنّ حُسَيْنًا كان يقرؤه من آخر الليل»^(١).
وعن إبراهيم النخعي قال: «كان أحدهم إذا بقي عليه من جزئه - أو حزيه - شيء فنشط قرأه بالنهار، أو قرأه من ليلة أخرى وربما زاد أحدهم»^(٢).

(١) رواه أبو عبيد في "فضائل القرآن" (ص ١٨٦)، والمستغفري في "فضائل القرآن" رقم (٥٢١) بإسناد صحيح.
أم موسى هي سُرّية علي رضي الله عنها، قيل: اسمها فاخنة، وقيل: حبيبة، مقبولة. التقريب ترجمة رقم (٨٧٧٧).
وقال العجلي: ((كوفية تايبعة ثقة)). معرفة الثقات ترجمة رقم (٢٣٦٥)
(٢) رواه أبو عبيد في "فضائل القرآن" (ص ١٨٧)، والفريابي في "فضائل القرآن" رقم (١٥١)، والمستغفري في "فضائل القرآن" رقم (٥٢٦) وإسناده صحيح.

المطلب الثاني: حث السلف على التدبر وبيان معناه عندهم:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «ألا لا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَفَقُّهُ، وَلَا خَيْرَ فِي فَهْمٍ لَيْسَ فِيهِ تَفَهُّمٌ، وَلَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّرٌ»^(١).

وعن الضحاك في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢] قال: «يتدبرون النظر فيه»^(٢).
أي النظر في عاقبة الشيء.

وعن قتادة في قوله تعالى: (أفلم يدبروا القول) قال: «إذن - والله - يجدون في القرآن زاجراً عن معصية الله لو تدبره القوم وعقلوه، ولكنهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا عند ذلك»^(٣).

وعن الحسن البصري رحمه الله قال: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ قَدْ قَرَأَهُ عَبِيدٌ وَصَبِيَّانٌ، لَا عِلْمَ لَهُمْ بِتَأْوِيلِهِ، وَلَمْ يَتَأَوَّلُوا الْأَمْرَ مِنْ أَوْلَاهِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَتَبْنَا إِلَيْكَ مَبْرُوكًا لِنُبَيِّنَ لَكَ آيَاتِنَا وَلِنُبَيِّنَ لَكَ مَا تَدَبَّرَ آيَاتِنَا إِلَّا اتَّبَاعَهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ، أَمَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِحِفْظِ حُرُوفِهِ وَإِضَاعَةِ حُدُودِهِ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَقُولُ: قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ، فَمَا أَسْفَطْتُ مِنْهُ حَرْفًا، وَقَدْ وَاللَّهِ أَسْفَطْتُ كُلَّهُ، مَا يُرَى لَهُ الْقُرْآنُ فِي خُلُقٍ وَلَا عَمَلٍ»^(٤).

ويقول محمد بن الحسين الآجري رحمه الله: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَثَّ خَلْقَهُ عَلَى أَنْ يَتَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٢)، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إِحْزَانًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]. ألا ترون رحمكم الله إلى مولاكم الكريم كيف يحث خلقه على أن يتدبروا كلامه، ومن تدبر كلامه عرف الرب عز وجل، وعرف عظيم سلطانه وقدرته، وعرف عظيم تفضله على المؤمنين، وعرف ما عليه من فرض عبادته فألزم نفسه الواجب، فحذر مما حذر مولاة الكريم، ورغب فيما رغبه فيه، ومن كانت هذه صفته عند تلاوته للقرآن وعند استماعه من غيره، كان القرآن له شفاء فاستغنى بلا مال، وعز بلا عشيرة، وأنس بما يستوحش منه غيره، وكان همه عند التلاوة للسورة إذا افتتحها متى أتعظ بما أتلو؟ ولم يكن مراده متى أحتتم السورة؟ وإنما مراده متى أعقل عن الله الخطاب؟ متى أزدجر؟ متى أعتبر؟ لأن تلاوته للقرآن عبادة، والعبادة لا تكون بغفلة، والله الموفق»^(٥).

(١) رواه أبو داود في "الزهد" رقم (١١١)، وابن بشران في "الأمالى" (٨٨٢)، والآجري في "أخلاق العلماء" ص(٧٢-٧٣) - ومن طريقه الخطيب في كتابه "الفقيه والمتفقه" رقم (١٠٥٦) -، وأبو نعيم في "الحلية" (٧٧/١) بإسناد حسن.

ورواه أبو خيثمة في "العلم" رقم (١٤٣) - ومن طريقه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٥١٠-٥١١) - وابن ضريس في "فضائل القرآن" رقم (٦٩) بإسناد فيه انقطاع.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في "جامع البيان" (٢٥٢/٧)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (١٠١٣/٣).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في "جامع البيان" (٢١٦/٢١)، وعزاه السيوطي في "الدر المنثور" (٤٤٧/١٣) أيضاً لعبد بن حميد.

(٤) رواه عبد الرزاق في "المصنف" (٣٦٤/٣)، وابن المبارك في "الزهد" رقم (٧٩٣)، والآجري في "أخلاق حملة القرآن" رقم (٣٤).

(٥) أخلاق حملة القرآن (ص٢).

المطلب الثالث: حث السلف على قراءة القرآن على مكث دون استعجال:

إن طريقة تلاوة القرآن لم توكل إلينا بل جاء وصفها في كتاب الله تعالى، فقال جلّ وعلا: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً﴾ [الإسراء: ١٠٦]، قال ابن جرير الطبري: «وقوله: ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ يقول: لتقرأه على الناس على تُوْدَة، فترتله وتبينه، ولا تعجل في تلاوته، فلا يفهم عنك»^(١).
وقال الله جلّ وعلا: ﴿وَرَقِلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤] قال القرطبي: «أي لا تعجل بقراءة القرآن بل أقرأه في مهل وبيان مع تدبر المعاني»^(٢).

فامتثل النبي ﷺ أمر ربه عزّ وجلّ فكانت قراءته للقرآن مترسلاً بتأنّ وتمهل وتبيين لحروفه، يقف على رأس كل آية، فعن قتادة قال: سئل أنس كيف كانت قراءة النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: «كَانَتْ مَدًّا ثُمَّ قَرَأَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَمُدُّ بِسْمِ اللَّهِ وَيَمُدُّ بِالرَّحْمَنِ وَيَمُدُّ بِالرَّحِيمِ». رواه البخاري^(٣).

وعن حفصة رضي الله عنها أنّها قالت: «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى فِي سُبْحَتِهِ قَاعِدًا حَتَّى كَانَ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِعَامٍ فَكَانَ يُصَلِّي فِي سُبْحَتِهِ قَاعِدًا، وَكَانَ يَقْرَأُ بِالسُّورَةِ فَيُرْتَلُّهَا حَتَّى تَكُونَ أَطْوَلَ مِنْ أَطْوَلٍ مِنْهَا». رواه مسلم^(٤).

وروى أيضاً عن حذيفة رضي الله عنه قال: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقْرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النَّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتْرَسَلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ». الحديث^(٥).

قال أبو العباس القرطبي: «قوله: ﴿يقرأ مترسلاً﴾ أي: مترقفاً متمهلاً، من قولهم: على رسلك أي: على رفئك»^(٦).
وقد أنكر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه على هيك بن سنان لما قال: إني لأقرأ المُفْصَلَ في رَكْعَةٍ. فقال عبْدُ اللَّهِ: «هَذَا كَهَذَا الشُّعْرِ! إِنَّ أَقْوَامًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ فِيهِ نَفَعٌ». متفق عليه^(٧).

وقال أيضاً: «لا تنتشروهُ نثر الدَّقْلِ»^(٨)، ولا تهذوه هذ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم أحدكم أحديكم أحديكم آخر السورة»^(٩).

- (١) جامع البيان (١١٦/١٥).
- (٢) الجامع لأحكام القرآن (٣٢٢/٢١).
- (٣) صحيح البخاري رقم (٥٠٤٦).
- (٤) صحيح مسلم رقم (٧٣٣).
- (٥) صحيح مسلم رقم (٧٧٢).
- (٦) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٤٠٥/٢).
- (٧) صحيح البخاري رقم (٧٧٥)، وصحيح مسلم رقم (٨٢٢) واللفظ له.
- (٨) أي: كما يتساقط الرطب اليابس من العذق إذا هُزَّ. النهاية في غريب الحديث (١٥/٥).
- (٩) رواه الأجرى في كتابه "أخلاق حملة القرآن" رقم (١).

وعن أبي جَمْرَةَ الضُّبَيْيِّ، قال: قلت لابن عباس: إني رجل خفيف القراءة أهدرُها^(١)؟ فقال ابن عباس: لَأَنَّ أَقْرَأَ البَقْرَةَ فَأُزِيلُهَا وَأَتَدَبِّرُهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْرَأَ هَذْرَمَةَ^(٢).

وفي لفظ، قال: «إني سريع القراءة، وإني أقرأ القرآن في ثلاث»^(٣).

وعن محمد بن كعب القُرَظِيِّ قال: «لَأَنَّ أَقْرَأَ فِي لَيْلَتِي حَتَّى أَصْبَحَ بِـ ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ و ﴿الْقَارِعَةُ﴾ لا أزيد عليهما أَرَدَدَهُمَا وَأَتَفَكَّرُ فِيهِمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَهْدِيَ الْقُرْآنَ لَيْلَتِي هَذَا أَوْ قَالَ أَنْشُرَهُ نَشْرًا^(٤).

وعن مجاهد في قوله: ﴿وَرَقِلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ فقال: «وبين القرآن تبيناً بعضه على أثر بعض، على نُؤْدَةٍ».

وفي رواية، قال: «ترسّل فيه ترسلاً». رواهما ابن جرير^(٥).

ولما سُئِلَ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ رَجُلٍ قَرَأَ البَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، وَرَجُلٍ قَرَأَ البَقْرَةَ؛ قِيَامَهُمَا وَاحِدًا، وَرُكُوعَهُمَا وَاحِدًا، وَسُجُودَهُمَا وَاحِدًا،

وَجُلُوسَهُمَا وَاحِدًا، أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «الَّذِي قَرَأَ البَقْرَةَ». ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾

[الإسراء: ١٠٦] ^(٦).

(١) الهذْرَمَةُ: السّرعَة في الكلام. النهاية في غريب الحديث (٢٥٦/٥).

(٢) رواه ابن ضريس في "فضائل القرآن" رقم (٣٢).

(٣) رواه أبو عبيد في "فضائل القرآن" (ص ١٥٧)، وابن نصر المروزي في "قيام الليل" كما في مختصره للمقريزي (ص ١٤٩).

(٤) رواه عبد الله بن المبارك في "الزهد" (٢٨٧) — ومن طريقه الفريابي في "فضائل القرآن" رقم (١٣٧)، وأبو نعيم في "الحلية" (٢١٤/٣) — ورواه أيضاً وكيع في "الزهد" رقم (٢٢٧)، وابن أبي شيبة في "المصنف" (٥٣/٦) رقم (٨٨٢٤)، والمستغفري في "فضائل القرآن" رقم (٦١) بإسناد لا بأس به.

(٥) جامع البيان (٣٦٣/٢٣).

(٦) رواه أبو عبيد في "فضائل القرآن" (ص ١٥٨)، والطبري في "جامع البيان" (١١٧/١٥).

المطلب الرابع: حث السلف على ترداد الآية الواحدة في الصلاة وفي خارجها:

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قام النبي صلى الله عليه وسلم بآية حتى أصبح يُرَدِّدُهَا وَالْآيَةُ: ﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكُمْ وَإِنْ تَغَفَّرْتُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]. رواه ابن ماجه، وأحمد، وابن نصر المروزي، وابن خزيمة، والحاكم وصححه^(١). وقال البوصيري: إسناده صحيح رجاله ثقات^(٢).

وعن قتادة بن النعمان قال: قام رجلٌ من الليلٍ فقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ السُّورَةَ يُرَدِّدُهَا لَا يَزِيدُ عَلَيْهَا، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ رَجُلًا قَامَ اللَّيْلَةَ مِنَ السَّحْرِ يَفْرَأُ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ لَا يَزِيدُ عَلَيْهَا! - كَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَفَلَّلُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ». رواه البخاري، والنسائي في "سننه الكبرى" واللفظ له^(٣).

وعن صفوان بن سليم قال: قام تميم الداري رضي الله عنه في المسجد بعد أن صلى العشاء فمرَّ بهذه الآية ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٤] فَمَا خَرَجَ مِنْهَا حَتَّى سَمِعَ أَذَانَ الصُّبْحِ. رواه ابن أبي الدنيا في "التهجد وقيام الليل"^(٤) قال محققه: إسناده فيه محمد بن عمير إن كان هو الطبري فإسناده حسن.

وعن عباد بن عبد الله بن الزبير، قال: افتتحت أسماء بنت أبي بكر سورة الطور، فلما انتهت إلى قوله تعالى ﴿فَمَنْبَأُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَوَقْنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ [الطور: ٢٧] ذهبت إلى السوق في حاجة، ثم رجعت وهي تُكْررها ﴿وَوَقْنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ قال: وهي في الصلاة. رواه أبو عبيد القاسم بن سلام بإسناد لا بأس به^(٥).

ورواه أبو نعيم^(٦) من طريق عروة بن الزبير، عنها، بنحوه.

وعن القاسم بن أبي أيوب، قال: «سمعت سعيد بن جبیر يردُّ هذه الآية في الصلاة بضعا وعشرين مرة: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]». رواه أبو عبيد بإسناد رجاله ثقات^(٧). ثقات^(٧).

(١) سنن ابن ماجه رقم (١٣٥٠)، ومسند أحمد رقم (٢١٥٣٨)، وقيام الليل للمروزي (ص ١٤٨ - مختصره)، وصحيح ابن خزيمة رقم (١٢٠)، والمستدرک (١/٢٤١).

(٢) مصباح الزجاجه (١/١٥٩).

(٣) صحيح البخاري رقم (٦٦٤٣)، والسنن الكبرى رقم (٧٩٧٥).

(٤) برقم (٥٠).

(٥) فضائل القرآن (ص ١٤٧).

(٦) في حلية الأولياء (٥٥/٢).

(٧) فضائل القرآن (ص ١٤٧-١٤٨).

وعن عبد الرحمن بن عجلان قال: «بثُّ عند الربيع بن خثيم ذات ليلة فقام يُصلي فمرَّ بهذه الآية ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ [الحاشية: ٢١] الآية فمكث ليلته حتى أصبح ما جاوز هذه الآية إلى غيرها يبكاء شديداً»^(١).

وعن جعفر^(٢) قال: سمعت مالك بن دينار قرأ هذه الآية ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، فبكى، وقال: «أقسم لكم لا يؤمن عبداً بهذا القرآن إلا صدع قلبه»^(٣).

وعن نعيم بن حماد، قال: «قال رجل لابن المبارك: قرأت البارحة القرآن في ركعة! فقال ابن المبارك: لكني أعرف رجلاً لم يزل البارحة يقرأ ﴿أَلْهَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ إلى الصُّبح ما قدر أن يجاوزها - يعني نفسه -»^(٤).

والآثار عن السلف في ذلك كثيرة، وقد أخرج جملة منها الإمام محمد بن نصر المروزي في كتابه "قيام الليل"^(٥) وترجم لها بقوله: «ترديد المصلي الآية مرّة بعد مرّة يتدبّر ما فيها»، وعقد له النووي فصلاً في كتابه "التبيان في آداب حملة القرآن" فقال: «فصل في استحباب ترديد الآية للتدبير».

وقال: «وقد بات جماعة من السلف يتلون آية واحدة يتدبّرونها ويرددونها إلى الصُّباح»^(٦).

قال ابن قدامة: «وليعلم أن ما يقرأه ليس كلام البشر، وأن يستحضر عظمة المتكلم سبحانه، ويتدبر كلامه؛ فإن التدبير هو المقصود من القراءة، وإن لم يحصل التدبّر إلا بتريد الآية فليردددها»^(٧).

(١) رواه عبد الله بن أحمد في "زوائد الزهد" رقم (١٩٢٥) ومن طريقه أبو نعيم في "الحلية" (١١٢/٢).

(٢) هو ابن سليمان الضُّبَعِي، صدوق عابد. تقريب التهذيب ترجمة (٩٤٢).

(٣) رواه الإمام أحمد في "الزهد" رقم (١٨٥٩)، وأبو نعيم في "الحلية" (٣٧٨/٢) وإسناده حسن.

(٤) رواه أبو بكر الدينوري في "المجالسة وجواهر العلم" رقم (١٢٣٢)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٤٣٥/٣٢).

(٥) انظر: "مختصر قيام الليل" لأحمد بن علي المقرئ (ص ١٤٨-١٥١).

(٦) التبيان (ص ٨٣).

(٧) مختصر منهاج القاصدين (ص ٥٧).

المبحث الثاني:

من آثار تدبر القرآن الكريم عند السلف الصالح

المطلب الأول: حث السلف على اتباع القرآن والعمل به:

إنَّ الغاية من إنزال القرآن الكريم هو العمل به باتباع أوامره واجتناب نواهيه، والوقوف عند حدوده، كما قال الله جلَّ وعلا: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، وقال: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٣]. وعن عكرمة، عن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١] قال: «يَتَّبِعُونَهُ حَقَّ اتِّبَاعِهِ». وقال عكرمة: «ألا ترى أنك تقول: فلان يتلو فلاناً، أي يتبعه؛ ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرُ إِذَا نَلَّهَا﴾ [الشمس: ١ - ٢] أي: تبعها»^(١).

وقال ابن عباس في رواية أخرى: «يُجْلُونَ حَالَهُ، وَيُحْرَمُونَ حَرَامَهُ، وَلَا يُحَرِّفُونَهُ عَنْ مَوَاضِعِهِ»^(٢).

وعن مجاهد رحمه الله في قوله: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾، قال: «يَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ»^(٣).

وهكذا كان حال السلف مع القرآن الجمع بين العلم والعمل، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن».

وعن أبي عبد الرحمن السلميّ، قال: «إِنَّا أَخَذْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَنْ قَوْمٍ أَحْبَبُونَا أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزُوهُنَّ إِلَى الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِيهِنَّ فَكُنَّا نَتَعَلَّمُ الْقُرْآنَ وَالْعَمَلَ بِهِ»^(٤).

(١) رواه أبو عبيد في "فضائل القرآن" (ص ١٣٠)، وابن جرير الطبري في "جامع البيان" (٤٨٨/٢)، وابن أبي حاتم تفسيره (٣١٩/١).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٣١٩/١)، وابن جرير في "جامع البيان" (٤٨٨/٢)، والحاكم في "المستدرک" (٢٦٦/٢) وصححه.

(٣) رواه ابن جرير في "جامع البيان" (٤٩٠/٢)، والآجري في "أخلاق حملة القرآن" رقم (٥)، (٣٥).

(٤) رواه أحمد في "المسند" رقم (٢٣٤٨٢)، وابن سعد في "الطبقات الكبرى" (١٧٢/٦)، وابن أبي شيبة في "مصنفه" (٤٣٦/١٥) رقم (٣٠٥٤٩)، وابن جرير في "جامع البيان" (٧٤/١). وصحَّ إسناده العلامة أحمد شاکر في تعليقه على "جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري" (٨٠/١).

المطلب الثاني: سرعة استجابة السلف للقرآن الكريم:

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنه لما أنزل الله تعالى براءتها في القرآن الكريم في قصة الإفك، قالت: قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أَنَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ - وَاللَّهُ لَا أَنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ وَلَا يَأْتِلُ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢]. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي أَحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحِ النَّفَقَةِ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَقَالَ وَاللَّهِ لَا أَنْزَعُهَا مِنْهُ أَبَدًا. متفق عليه^(١).

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: «قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حَذِيفَةَ بْنِ بَدْرِ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسِ بْنِ حِصْنٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقُرَاءُ أَصْحَابَ بَجَلِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كُفُولًا كَانُوا، أَوْ شُبَّانًا فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ يَا ابْنَ أَخِي هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ فَتَسْتَأْذِنَ لِي عَلَيْهِ قَالَ سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَاسْتَأْذَنَ لِعُيَيْنَةَ فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ: وَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزَلَ وَمَا تُحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ فَعَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ بِأَنْ يَفْعَ بِهِ فَقَالَ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف:

١٩٩] وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ فَوَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ. رواه البخاري^(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «إِنِّي لَقَائِمٌ أَسْقِيهَا أَبَا طَلْحَةَ وَأَبَا أَيُّوبَ وَرِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِنَا إِذْ جَاءَ رَجُلٌ، فَقَالَ: هَلْ بَلَعْتُمْ الْخَبْرَ؟ قُلْنَا: لَا. قَالَ: فَإِنَّ الْحَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ، فَقَالَ: يَا أَنَسُ أَرِقْ هَذِهِ الْقِلَالُ. قَالَ: فَمَا رَاجِعُوهَا وَلَا سَأَلُوا عَنْهَا بَعْدَ خَبَرِ الرَّجُلِ». متفق عليه واللفظ لمسلم^(٣).

وعن الفضل بن موسى قال: «كَانَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ شَاطِرًا يَقْطَعُ الطَّرِيقَ بَيْنَ أَبِي يُوْرَدَ وَسَرَخَسَ، وَكَانَ سَبَبَ تَوْبَتِهِ أَنَّهُ عَشِقَ جَارِيَةً، فَبَيْنَا هُوَ يَرْتَقِي الْجُدْرَانَ إِلَيْهَا إِذْ سَمِعَ تَالِيًا يَتَلُو ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الحديد: ١٦]، فَلَمَّا سَمِعَهَا قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَدْ آنَ، فَرَجَعَ فَأَوَاهِ اللَّيْلَ إِلَى خَبْرَةٍ، فَإِذَا فِيهَا سَابِلَةٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَرْتَحِلُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: حَتَّى نَصْبَحَ، فَإِنَّ فَضِيلًا عَلَى الطَّرِيقِ يَقْطَعُ عَلَيْنَا. قَالَ: فَفَكَّرْتُ وَقُلْتُ: أَنَا أَسْعَى بِاللَّيْلِ فِي الْمَعَاصِي وَقَوْمٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ هَاهُنَا يَخَافُونِي، وَمَا أَرَى اللَّهَ سَاقِنِي إِلَيْهِمْ إِلَّا لِأُرْتَدِعَ، اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ تَبْتُ إِلَيْكَ، وَجَعَلْتَ تَوْبَتِي مَجَاوِرَةَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ»^(٤).

(١) صحيح البخاري رقم (٤٧٥٠)، وصحيح مسلم رقم (٢٧٦٩).

(٢) صحيح البخاري رقم (٧٢٨٦).

(٣) صحيح البخاري رقم (٢٤٦٤، ٤٦٢٠، ٥٥٨٢)، وصحيح مسلم رقم (١٩٨٠).

(٤) رواه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٣٨٢/٤٨)، والقصة أوردها الحافظان المزي في "تهذيب الكمال"، والذهبي في "سير أعلام النبلاء" (٤٢٣/٨) عند ترجمة الفضيل بن عياض رحمه الله.

المطلب الثالث: بكاء السلف وخشوعهم عند تلاوة القرآن أو سماعه:

لقد مدح الله تعالى مسلمي أهل الكتاب بأعظم صفتين عند تلاوتهم القرآن وهما: البكاء والخشوع فقال جلّ وعلا:

﴿ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ ءَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩].

وكان إمام المتقين وخير عباد الله الصالحين صلوات الله وسلامه عليه تدمع عيناه حتى تنهمران ويسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَأْ عَلَيَّ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ؟! قَالَ: «نَعَمْ». فَقَرَأْتُ سُورَةَ النَّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١] قَالَ: «حَسْبُكَ الْآنَ». فَالْتَفَتُ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَدْرِفَانِ. متفق عليه^(١).

فبكى صلوات الله وسلامه عليه رحمة ورافة بأمته؛ لأنه علم أنه لا بد أن يشهد عليهم بعملهم، وعملهم قد لا يكون مستقيماً فقد يُفضى إلى تعذيبهم^(٢).

وعن عبد الله بن الشَّخِيرِ، قال: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيْرٌ كَأَزِيْرِ الْمَرْحَلِ مِنَ الْبُكَاءِ». رواه أبو داود، والنسائي، والترمذي في "الشَّمَائِلِ"، والإمام أحمد، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم وصححه على شرط مسلم^(٣). وقال ابن حجر: «إسناده قوي»^(٤).

وعن عائشة رضي الله عنها، أنها سُئِلَتْ عن أعجب شيء رآته من رسول الله ﷺ، قالت: لَمَّا كَانَ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي، قَالَ: «يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعْبُدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي». قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّ قُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ حِجْرُهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ حَيْثُ، فَجَاءَ بِالْأَلِّ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَأَهُ يَبْكِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟، قَالَ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ

(١) صحيح البخاري رقم (٥٠٥٠) وصحيح مسلم رقم (٨٠٠).

(٢) انظر: فتح الباري (٩٩/٩).

(٣) سنن أبي داود رقم (٩٠٤)، وسنن النسائي رقم (١٢١٤)، وشمائل الترمذي رقم (٣٢٢)، ومسند أحمد رقم (١٦٣١٢)، وصحيح ابن خزيمة رقم (٩٠٠)، وصحيح ابن حبان - كما في الإحسان رقم (٧٥٣) -، والمستدرک (٢٦٤/١).

(٤) فتح الباري (٢٠٦/٢).

نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةً، وَإِنِّ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] آيَةً كُتِبَتْهَا.
رواه ابن حبان^(١)، ووجود الألباني^(٢) إسناده^(٣).

وهكذا كان حال السلف الصالح مع القرآن تتحرك قلوبهم وتتشعر جلودهم وتنهمر أعينهم بالدموع...

عن عبد الله بن عروة بن الزبير، قال: قُلْتُ لَجَدَّتِي أَسْمَاءُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كَيْفَ كَانَ يَصْنَعُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَرَأُوا الْقُرْآنَ؟ قَالَتْ: «كَانُوا كَمَا نَعْتَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، تَدْمَعُ أَعْيُنُهُمْ وَتُقَشَعُرُ جُلُودُهُمْ». رواه حسين المرزوي في زوائده على "الزهد" لابن المبارك^(٣). بإسناد رجاله كلهم ثقات.

تشير رضي الله عنها إلى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَدِّدًا مَثَانِي نَقَّشِعُرٌ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَفِي النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، ثُمَّ بَدَأَ لِأَبِي بَكْرٍ فَأَبْتَنِي مَسْجِدًا بِنِجَاءِ دَارِهِ، فَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَيَقِفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَاءً لَا يَمْلِكُ عَيْنِيهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَفْرَعُ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ». رواه البخاري^(٤).

وعن عبيد بن عمير، قال: «صَلَّى بِنَا عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَافْتَتَحَ سُورَةَ يُوسُفَ فَقَرَأَهَا حَتَّى إِذَا بَلَغَ ﴿وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤] وبكى حتى انقطع فركع^(٥).

وعن أبي الضحى، عن مسروق، قال: قرأت على عائشة هذه الآيات: ﴿فَمَنْ أَلَّهْ عَلَيْنَا وَوَقْنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ [الطور: ٢٧] فبكت، وقالت: «رَبِّ مَنْ عَلَيَّ، وَقِنِي عَذَابَ السَّمُومِ». رواه ابن أبي الدنيا في "الرقعة والبكاء"^(٦).

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان رقم (٦٢٠).

(٢) في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" رقم (٦٨).

(٣) برقم (١٠١٦).

(٤) صحيح البخاري رقم (٤٧٦).

(٥) رواه أبو عبيد في "فضائل القرآن" (ص ١٣٧) بإسناد لا بأس به.

(٦) الرقة والبكاء رقم (٩٨).

ورواه الإمام أحمد في "الزهد" رقم (٩٠٩) ومن طريقه أبو نعيم في "الحلية" (٤٨/٢) من طريق أبي الضحى قال: حدثني من سمع عائشة.

وعن نافع مولى ابن عمر قال: «كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا قرأ هذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] بكى حتى يغلبه البكاء». رواه ابن أبي الدنيا، وأبو نعيم، وابن عساکر^(١)، وعزاه ابن حجر لأبي العباس السراج في "تاريخه" وقال: «وسنده جيد»^(٢).

وعن ابن أبي مليكة قال: «سافرت مع ابن عباس رضي الله عنه من مكة إلى المدينة وهم يسرون إليها وينزلون بالليل، فكان ابن عباس رضي الله عنه يقوم نصف الليل فيقرأ القرآن حرفاً حرفاً - ثم حكى قراءته -، ثم يبكي حتى تسمع له نشيجاً». رواه محمد بن نصر المروزي في "قيام الليل"^(٣).

وعن مسروق، قال: قَالَ لِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ: هَذَا مَقَامُ أَخِيكَ تَمِيمِ الدَّارِيِّ، فَا مَ لَيْلَةً حَتَّى أَصْبَحَ أَوْ كَرِبَ^(٤) أَنْ يُصْبِحَ بِآيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ يُرَدِّدُهَا يَبْكِي، فَيَرَكُّعُ بِهَا وَيَسْجُدُ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الحاثية: ٢١]^(٥).

وعن أبي المليح قال: قرأ يوماً ميمون بن مهران رحمه الله ﴿وَأَمْتَنُوا أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ﴾ [يس: ٥٩] فَرَقَّ حَتَّى بَكَى، ثُمَّ قَالَ: «مَا سَمِعَ الْخَلَائِقُ بِعَتَبٍ أَشَدَّ مِنْهُ قَطُّ». رواه أبو نعيم^(٦).

والآثار عن السلف في بكائهم عند تلاوة القرآن أو سماعه^(٧) أكثر من تحصر، وقد أورد جملة منها أبو بكر بن أبي الدنيا في كتابه "الرقعة والبكاء" وعنون لها بقوله: «البكاء عند قراءة القرآن».

(١) الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا رقم (٧٧)، وحلية الأولياء (٣٠٥/١)، وتاريخ دمشق (١٢٧/٣١).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (١٧٨/٤).

(٣) كما في "مختصره" للمقريزي لكنه حذف أسانيد الآثار.

(٤) كَرِبَ: بمعنى دَنَا وقُرْب. النهاية في غريب الحديث (١٦١/٤).

(٥) رواه عبد الله بن المبارك في "الزهد" رقم (٩٤)، وأبو داود في "الزهد" رقم (٣٩٤)، وأبو عبيد في "فضائل

القرآن" (ص ١٤٥)، والبغوي في "الجعديات" رقم (١١٢ - مسند ابن الجعد)، والطبراني في "المعجم الكبير"

(٥٠/٢)، والمستغفري في "فضائل القرآن" رقم (٥٤).

وقال الحافظ ابن حجر في "الإصابة" (٣٦٨/١): ((رواه البغوي في "الجعديات" بإسناد صحيح إلى مسروق)).

(٦) في "حلية الأولياء" (٩٢/٤)، وعزاه السيوطي في "الدر المنثور" (٣٦٥/١٢) لابن أبي حاتم في "تفسيره"

وهو من الجزء المفقود.

(٧) والأسباب الحاملة على البكاء والخشية أحوال كثيرة، أشار إليها ابن القيم رحمه الله في كتابه "الفوائد"

(ص ١٩٧-١٩٨).

المطلب الرابع: تذكير السلف بآيات القرآن عند المناسبة:

مما يعين على تدبر القرآن استغلال الأحداث والمناسبات والوقائع وربطها بالآيات القرآنية؛ لما في ذلك من الأثر الكبير في فهم القرآن وتدبره، وقد استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب التربوي مع أصحابه، فمن ذلك ما رواه البخاري عن أبي سعيد بن المعلّى - رضي الله عنه - قال: كُنْتُ أَصَلِّي فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَعَانِي فَلَمْ آتِهِ حَتَّى صَلَّيْتُ ثُمَّ أَتَيْتُهُ، فَقَالَ: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَ أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]» الحديث (١).

ومن ذلك ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَالَ: «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ». قَالَ: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لِأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا قَوْمًا». الحديث، وفيه قصة استضافة الأنصاري لهم، فجاءهم بعدق فيه بُسْر وتمر ورطب، وذبح لهم شاة، فأكلوا وشربوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَسْأَلَنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمُ مِنَ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ» (٢). يشير عليه الصلاة والسلام إلى الآية الكريمة ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨].

عن عبد الله بن عقيل بن شمير الرباحي، عن أبيه، قال: شَرِبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ مَاءً بَارِدًا فَبَكَى فَاشْتَدَّ بُكَاءُهُ، فَقِيلَ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: «ذَكَرْتُ آيَةً فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤] فَعَرَفْتُ أَنَّ أَهْلَ النَّارِ لَا يَشْتَهُونَ إِلَّا الْمَاءَ الْبَارِدَ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٠]» (٣).

وقد جعل الله تبارك وتعالى في هذه الدار أشياء كثيرة تذكّر بالدار الآخرة، منها الحمام الذي ذكّر الصالحين بنار جهنم (٤)، فقد صحّ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «نعم البيت الحمام، يذهب الوسخ ويذكّر النار» (٥).

(١) صحيح البخاري برقم (٤٦٤٧).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٠٣٨).

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في "زوائد الزهد" رقم (١٠٥٥)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (١٤٩/٤) رقم (٤٦١٤).

تنبيه مهم: الراوي عن عبد الله بن عقيل بن شمير هو بكار بن سقير البصري، ذكره البخاري في "تاريخه الكبير" (١٢٢/٢) وقال: «أثنى عليه عبد الله بن المبارك خيراً»، وقال ابن معين - كما في المؤلف والمختلف للدارقطني (١١٧٢/٣) -: «(صالح الحديث) وذكره ابن حبان في "الثقات" (١٠٧/٦). غير أنه وقع اسم أبيه في "زوائد الزهد" (سفيان)، وفي "شعب الإيمان" (سمير) وكلها تصحيف، والصواب: (سقير) كما في مصادر ترجمته.

(٤) ينظر: لطائف المعارف لابن رجب (ص ٦٨٨) وما بعدها.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في "مصنفه" رقم (١١٧٦)، ومسند في "مسنده" - كما في اتحاف الخيرة المهرة - رقم (٥٠٤) للبوصيري وقال: ((إسناد رجاله ثقات)).

وعن أحمد بن سعيد الهمداني، قال: دخل ابن وهب الحمام فسمع قارئاً يقرأ: ﴿وَإِذْ يَتَحَلَّجُونَ فِي النَّارِ﴾ [غافر: ٤٧] فسقط مغشياً عليه^(١).

(١) رواه أبو نعيم في "الحلية" (٣٢٤/٨).

المطلب الخامس: إشادة السلف وتنويههم ببعض الآيات من القرآن الكريم:

فإنَّ القرآن الكريم وإنَّ كان كلُّه كلامَ الله غير أنَّه يتفاضل^(١)، فالآيات المشتملة على توحيد الله والخبر عن أسمائه وصفاته أفضل من غيرها، كما قال أحدُ أهل العلم: كلام الله في الله أفضل من كلامه في غيره، فمعاني ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ليست هي معاني ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.

وهذا التفاضل بين السُّور والآيات ليس باعتبار نسبته إلى المتكلم، فإنَّ المتكلم به واحدٌ وهو الله سبحانه، ولكن باعتبار معانيه التي تكلم بها وباعتبار ألفاظه المبينة لمعانيه، والنصوص في تفضيل كلام الله بعضه على بعض كثيرة.

فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنَّه فضَّل من السور سورةَ الفاتحة، ففي صحيح البخاري من حديث أبي سعيد بن المُعلَى، قال: مرَّ بي النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم وأنا أصلي، فدعاني فلم آتِه حتَّى صلَّيتُ ثمَّ أتيتُ، فقال: ما منعك أن تأتي؟ فقلتُ: كنتُ أصلي فقال ألم يقل الله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ثمَّ قال: «ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد»، فذهب النبيُّ صلى الله عليه وسلم ليخرج من المسجد فدكرته فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هي السُّبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته^(٢).

وفضَّل من الآيات آية الكرسي، ففي صحيح مسلم من حديث أبي بن كعبٍ قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا المُنذرِ أتدرى أيُّ آيةٍ من كتابِ الله معك أعظم؟». قال: قلتُ: الله ورسوله أعلم. قال: «يا أبا المُنذرِ أتدرى أيُّ آيةٍ من كتابِ الله معك أعظم؟». قال: قلتُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. قال: فضربَ في صدرِي وقال: «والله ليهنك العلمُ أبا المُنذرِ»^(٣).

وعن عامر الشعبي، قال: «جلسَ مسروقٌ، وشُتيرٌ بن شَكَلٍ في مسجدِ الأعظم، فرأهما ناسٌ فتحوَّلوا إليهما، فقال مسروقٌ لشتيرٍ: إنما تحوَّل إلينا هؤلاء لِنُحَدِّثَهُمْ، فإِذَا أَن تُحَدِّثَ وَأُصَدِّقَكَ، وَإِذَا أَن أُحَدِّثَ وَتُصَدِّقَنِي، فقال مسروقٌ حدِّثْ أُصَدِّقَكَ، قال شُتيرٌ حدِّثنا عبدُ الله بن مسعودٍ: إنَّ أعظمَ آيةٍ في كتابِ الله ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] إلى آخر الآية، فقال مسروقٌ: صدقت.

وحدِّثنا عبدُ الله: أنَّ أجمعَ آيةٍ في كتابِ الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠] إلى آخر الآية، قال مسروقٌ: صدقت.

(١) من شاء الاستزادة في هذه المسألة فليطالع مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥٧/١٧) فما بعدها.

(٢) صحيح البخاري رقم (٤٧٠٣).

(٣) صحيح مسلم رقم (٨١٠).

وَحَدَّثَنَا: أَنَّ أَكْثَرَ أَوْ أَكْبَرَ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَرَحًا ﴿قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾
[الزمر: ٥٣] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَقَالَ مَسْرُوقٌ: صَدَقْتُ.

وَحَدَّثَنَا: أَنَّ أَشَدَّ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَقْوِيضًا ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ -
٣] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَقَالَ مَسْرُوقٌ: صَدَقْتُ^(١).

وعن جويرية بن بشير قال: سمعت الحسن قرأ هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ الآية ثم وقف، فقال: «إِنَّ
الله جمع لكم الخير كله والشر كله في آية واحدة، فوالله ما ترك العدل والإحسان شيئاً من طاعة الله عزّ وجل إلا جمعه،
ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئاً إلا جمعه»^(٢).

عن سعيد بن جبير قال: مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مَا أُعْطِيَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ
﴿١٥٦﴾ أَوْلِيَّتِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٦ - ١٥٧]، ولو أُعْطِيَهَا أَحَدٌ لَأُعْطِيَهَا يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَلَمْ
تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿يَتَأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤]،^(٣).

(١) رواه عبد الرزاق في "مصنفه" (٣٧١/٣)، وأبو عبيد في "فضائل القرآن" (ص ٢٧٥-٢٧٦)، والبخاري في
"الأدب المفرد" رقم (٤٨٩)، والطبراني في "المعجم الكبير" (١٣٣/٩)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٤٥٨/٢)
بتمامه.

ورواه ابن جرير الطبري في "جامع البيان" (٣٢٧/١٤)، والحاكم في "المستدرک" (٣٥٦/٢) ببعضه، وإسناده
صحيح، وصححه الحاكم على شرط الشيخين.

(٢) رواه أبو نعيم في "الحلية" (١٥٨/٢)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (١٦١/١) رقم (١٤٠).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في "جامع البيان" (٧٠٨/٢)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٢٦٥/١)، والبيهقي في
"شعب الإيمان" (١١٧/٧) رقم (٩٦٩١) وإسناده صحيح.

الخاتمة

بعد عرض شيء قليل ونزر يسير من النماذج المضيئة والصور المشرقة من قصص السلف الصالح وأخبارهم أشير إلى بعض النتائج الهامة باختصار:

١- لقد كان لتدبر السلف الصالح للقرآن الكريم الأثر الواضح على زيادة إيمانهم وخشية قلوبهم وتوبتهم واستقامة أخلاقهم وسرعة الاستجابة لأوامره ونواهيهِ إلى غير ذلك من آثار التدبر الطيبة وثماره المباركة.

٢- أن خير من عرف حقيقة التدبر علماً وعملاً، فهماً وسلوكاً، نظرياً وتطبيقاً هم السلف الصالح.

٣- أن الرعيل الأول وهم الصحابة الكرام كانوا في جاهلية جهلاء كبقية العرب، وإنما أصلحهم القرآن لما استمسكوا بعروته واهتدوا بهديه، ووقفوا عند حدوده، فبذلك أصبحوا صالحين مصلحين لغيرهم.

٤- أنّ الأمة الإسلامية إذا أرادت أن يرجع لها عزُّها التليد ومجدُّها المجيد فعليها أن ترجع إلى القرآن تلتمس فيه شفاءها لأدوائها، وتقتفي مواقع الهداية التي اهتدى بها أسلافهم.

٥- إنّ حقوق القرآن علينا من التدبر والاتباع هي التي يجب التركيز عليها والتذكير بها دائماً بشتى الوسائل ومختلف السبل وفي كافة الميادين والمجالات.

هذا ما تيسر جمعه فإن أصبت بفضل الله وحده، وإن أخطأ فمن نفسي والشيطان، والله تعالى أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

قائمة المصادر والمراجع

١. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري (ت ٨٤٠هـ)، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن - الرياض، ط ١ (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
٢. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (ت ٣٥٤هـ)، لعلاء الدين علي ابن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٢ (١٤١٤هـ).
٣. الأدب المفرد، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، تخريج: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط ٣ (١٤٠٩هـ).
٤. الإصابة في تمييز الصحابة، لأبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: علي بن محمد الجاوي، دار الجليل - بيروت، ط ١ (١٤١٢هـ).
٥. تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.
٦. تاريخ مدينة دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي (ت ٥٧١هـ)، تحقيق: عمر بن غرامة العمري، دار الفكر - بيروت، ط ١ (١٤١٥هـ).
٧. التبيان في آداب حملة القرآن، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق: محمد الحجّار، دار ابن حزم - بيروت، ط ٤ (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).
٨. تفسير القرآن العظيم/ ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية - صيدا.
٩. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة - الرياض، ط ٢ (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
١٠. تقريب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، ومعه: تحرير تقريب التهذيب للدكتور بشار عواد، والشيخ شعيب الأرنؤوط، ضبط وتعليق: سعد بن نجات عمر، مؤسسة الرسالة ناشرون - دمشق - بيروت، ط ١ (١٤٣٢هـ - ٢٠١١هـ).
١١. التهجد وقيام الليل، لأبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)، تحقيق: مصلح بن جزاء الحارثي، مكتبة الرشد - الرياض، ط ١ (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).
١٢. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لأبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزني (ت ٧٤٢هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١ (١٤٠٢هـ) و (١٤٠٨هـ) و (١٤١٣هـ).
١٣. الثقات، لأبي حاتم محمد بن حبان التميمي البُستي (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، دار الفكر - بيروت، مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية بجيدر آباد - الهند، ط ١ (١٣٩٩هـ).

- ١٤ . جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، بإشراف: د. عبد الله ابن عبد المحسن التركي، مركز هجر - القاهرة، ط ١ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م). وطبعة أخرى بتحقيق: محمود محمد شاكر، وأخوه أحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية - القاهرة.
- ١٥ . جامع الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سؤرة الترمذي (ت ٢٩٧هـ)، (ج ٢، ١) بتحقيق: أحمد محمد شاكر. و(ج ٣) بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. و(ج ٤، ٥) بتحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١ (١٤٠٨هـ).
- ١٦ . الجامع الصحيح (المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب - ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١ (١٤٠٠هـ).
- ١٧ . الجامع الصحيح، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية - استانبول - تركيا.
- ١٨ . الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر اللقراطي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: جماعة من الباحثين بإشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١ (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
- ١٩ . الجرح والتعديل، لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، دار الكتب العلمية - بيروت، مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد - الهند، ط ١ (١٣٧١هـ).
- ٢٠ . حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ٥ (١٤٠٧هـ).
- ٢١ . الدر المنثور في التفسير بالمتأثور، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: مركز هجر للبحوث، بإشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر - القاهرة، ط ١ (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).
- ٢٢ . الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا
- ٢٣ . الرقة والبكاء، لأبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)، تحقيق: محمد خير رمضان، دار ابن حزم - بيروت، ط ٣ (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).
- ٢٤ . الزهد، لأبي داود السجستاني (ت ٢٧٥هـ) - رواية ابن الأعرابي عنه -، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار المشكاة - القاهرة، ط ١ (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).
- ٢٥ . الزهد، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١ (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
- ٢٦ . الزهد، لعبد الله بن المبارك المروزي (ت ١٨١هـ) - وبذيله: كتاب الرقائق. له أيضاً .، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٢٧ . زوائد الزهد، لعبد الله بن أحمد بن حنبل = الزهد لأحمد.
- ٢٨ . سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٤ (١٤٠٥هـ).

٢٩. سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية - بيروت.
٣٠. السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: د. عبد الغفار البنداري، وسيد كسروي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١ (١٤١١هـ).
٣١. السنن النسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ). معه شرح السيوطي، وحاشية السندي، دار المعرفة - بيروت، ط ١ (١٤١١هـ).
٣٢. سير أعلام النبلاء، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: جماعة من الباحثين بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٨ (١٤١٢هـ).
٣٣. شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوي زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١ (١٤١٠هـ).
٣٤. الشمائل المحمدية، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: عصام موسى هادي، دار الصديق - الجبل (السعودية)، مؤسسة الريان - بيروت، ط ١ (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م).
٣٥. صحيح ابن حبان = الإحسان
٣٦. صحيح ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١هـ)، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت. دمشق. عمان، ط ٢ (١٤١٢هـ).
٣٧. الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ)، دار صادر - بيروت، (١٤٠٥هـ).
٣٨. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، إخراج: محب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت. مصورة عن الطبعة السلفية.
٣٩. فضائل القرآن، لأبي العباس جعفر بن محمد المستغفري (ت ٤٣٢هـ)، تحقيق: د. أحمد بن فارس السلوم، دار ابن حزم - بيروت، ط ١ (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
٤٠. فضائل القرآن، لأبي بكر جعفر بن محمد الفريابي (ت ٣٠١هـ)، تحقيق: يوسف عثمان بن فضل الله، مكتبة الرشد - الرياض.
٤١. فضائل القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أيوب بن الضريس (ت ٢٩٤هـ)، تحقيق: عروة بدير، دار الفكر - دمشق، ط ١ (١٤٠٨هـ - ١٠٨٧م).
٤٢. فضائل القرآن، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤هـ)، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير - دمشق.
٤٣. قيام الليل، لأبي عبد الله محمد بن نصر المروزي (ت ٢٩٤هـ) = مختصر قيام الليل.
٤٤. لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، تحقيق: عامر بن علي ياسين، دار ابن خزيمة - الرياض، ط ١ (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).
٤٥. مختصر قيام الليل، لأحمد بن علي المقرئ (ت ٨٤٥هـ)، بإشراف: محمد إلياس عبد القادر، الناشر: حديث أكاديمي فيصل آباد، ط ١ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
٤٦. مختصر منهاج القاصدين، لأبي العباس أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (ت ٦٨٩هـ)، تحقيق: عبد الحميد محمد الدرويش، ط ١ (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م).

٤٧. المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، دار المعرفة - بيروت.
٤٨. المسند، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١ (١٤١٣هـ).
٤٩. مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، لأبي العباس أحمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن البوصيري (ت ٨٤٠هـ)، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية - بيروت، ط ١ (١٤٠٣هـ).
٥٠. المصنّف، لأبي بكر عبد الرزّاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٢ (١٤٠٣هـ).
٥١. المصنّف، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ)، تحقيق: محمد عوّامة، شركة دار القبلة - جدة، ط ١ (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).
٥٢. المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٢.
٥٣. مفتاح دار السعادة ومنتشور ولاية العلم والإرادة، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: عبدالرحمن بن حسن بن قائد، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، ط ١ (١٤٣٢هـ).
٥٤. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق: محي الدين ديب مستو وغيره، دار ابن كثير - دمشق.
٥٥. المؤتلف والمختلف للدار قطني
٥٦. النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السّعادات المبارك بن الأثير الجزري (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: محمود محمد الطنّاحي، أنصار السنة المحمدية - لاهور (باكستان).